

تفسير السعدي

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ
لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

أي: ومن هؤلاء المنافقين الذين يؤذون النبي بالآقوال الردية، والعيب له ولدينه،

ويقولون هو أعمى لا يباليون بما يقولون من الأذية للنبي، ويقولون: إذا بلغه عنا بعض

ذلك، جئنا نعتذر إليه، فيقبل منا، لأنه أذن، أي: يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق

وكاذب، وقصدهم قبحهم الله فيما بينهم، أنهم غير مكترئين بذلك، ولا مهتمين به،

لأنه إذا لم يبلغه فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل فأساءوا كل

الإساءة من أوجه كثيرة، أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء

والهلاك إلى الهدى والسعادة. وأومنها: عدم اهتمامهم أيضاً بذلك، وهو قدر زائد على مجرد

الأذية. وأومنها: قدحهم في عقل النبي صلى الله عليه وسلم وعدم إدراكه وتفريقه بين

الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلاً، وأتمهم إدراكاً، وأثقبهم رأياً وبصيرة، ولهذا

قال تعالى: أَقُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ أي: يقبل من قال له خيراً وصدقاً. وأما إعراضه وعدم

تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم ، وامثاله لأمر الله في قوله: ﴿أَسِيحْلُفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ﴾ وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: ﴿أُيُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الصادقين المصدقين، ويعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيرا ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم، ﴿أَوَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون. وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ بالقول أو الفعل ﴿الَّهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه.